سياسة فرنسا تجاه بربر المغرب العربي

د. ثامر مكي الشمَّري(*)

الملخص

واجهت دول المغرب العربي في تاريخها المعاصر – لاسيَّما بعد مرحلة الاستقلال – أزماتٍ سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، وهي من آثار المرحلة الاستعمارية على الأغلب، بل كانت الهوية العربية الإسلامية في تلك البلدان أمام تحدياتٍ قديمة – جديدة بدأت تُعبِّر عن نفسها، في النزعة الفرانكفونية والنزعة البربرية (الأمازيغية) وجميعها بدعم وإسناد خارجي، وهذا ما هدَّد وحدتها وهويتها الوطنية، وما دفعها إلى الضعف والتراجع.

مدخل تاريخي

تشترك السياسة الاستعمارية تجاه الشعوب المحتلة بسِماتٍ عامَّة وإنْ اختلفت بالدرجة أو أساليب العمل، لكنها في جوهرها تُعبِّر عن سِمَتين هما الاستغلال والاستلاب، فالاستغلال يقترن عادةً بالثروة الاقتصادية في حين الاستلاب يقترن بالهوية، وعليه شَهِدت شعوب العالم المحتل شتَّى صنوف الاستغلال والاستلاب طوال مدَّة بقاء المُحتل وما بعده أيضاً، وكان ذلك بدرجات، تبعاً لطبيعة الوعي الوطني والمقاومة الوطنية، أو لطبيعة تراثها وعُمقها الثقافي والديني أو لكليهما معاً، وكان المغرب العربي بدولهِ الخمسة قد عانى الصنفين معاً بكلِّ معانيهما المدمرة للواقع والإنسان، ومع ذلك حافظ على الهوية؛ لأنَّ فيه شعبٌ ينتمي إلى أُمَّةٍ عريقة في وجودها وجذورها التاريخية والدينيَّة والحضارية[1].

أدركت فرنسا أنَّ الاحتلال العسكري لا يمكن أنْ يؤدي إلى تحقيق النتائج التي تسعى إليها، لذلك وجَّهت اهتمامها إلى الجوانب الثقافية والروحية للمغاربة، فمن الأساليب التي استخدمها الفرنسيون في المغرب العربي هو دق إسفيناً بين مكونات شعوبهِ وإثارة النَّعرات العنصرية بين أبناء الشعب الواحد من عربٍ

(*) الجامعة المستنصرية / كلية الآداب.

وبربر، انطلاقاً من سياستها القديمة (فَرِّقْ تَسُدْ)، وتاريخ ما أصبح يُعرف اليوم بالبربرية أو المسألة الأمازيغية هو تجسيدٌ حي لهذهِ السياسة التي لم تتبدل إلَّا في عناوينها وأشكالها، بينما ظلَّ جوهر السياسة واحداً وهو التجزئة والإلحاق، لقد ولدت هذهِ السياسة أولاً في الجزائر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وتمَّ تطويرها في المغرب العربي خلال النصف الأول من القرن العشرين، قبل أنْ تأخذ أبعاداً دولية تحت عناوين مختلفة في سبعينيات وثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين، بعد جلاء الاحتلال الفرنسي عن البلدين، وذلك لأداء الأدوار السابقة نفسها التي لم تنجح فرنسا في أدائها وأوكلتها إلى وكلائها في الداخل[٢].

هكذا ولدت المسألة البربرية، إذ وجَّهت فرنسا بعدها علماء التاريخ والآثار والانثروبولوجيا والإثنوجرافيا (المختصين بعلم الأعراق والأجناس) الفرنسيين إلى دراسة أنماط عيش سكَّان البربر بالجزائر وتاريخهم ولغتهم، وكان لهذهِ الدراسات التي أنجزها العديد من هؤلاء، ومنهم المؤرخ الفرنسي شارل روبير اجرون Charles-Robert Ageron (١٩٢٣-٢٠٠٨م)، وستيفان جزيل Stéphane Gsell (١٨٦٤-١٩٣٢م)، وروجيه لوتورنو Roger Lutorno، وألبرت غابرييل هانوتو Albert Gabriel Hanotto (١٨٥٣-١٩٤٤م). حيث شكَّلت هذهِ الدراسات حول المسألة البربرية بالجزائر أدبياتٍ أيديولوجية ومعالجاتٍ إثنوجرافية، مثَّلت الأُسس التي قام عليها علم الاجتماع الاستعماري في الجزائر، وأدَّت دور كبير في توجيه السياسة الفرنسية في الجزائر ورسم ما أصبح يُدعى بالسياسة البربرية لفرنسا، وقد أحصى العقيد ماسكوراي Émile Masqueray (١٨٤٣-١٨٩٤م)، في كتابهِ: (تكوين المراكز الحضرية للسكَّان المستقرين بالجزائر: قبائل جرجرة والأوراس وميزاب)[٣]، الصادر عام ١٨٨٦م، ستمئة عنوان عن بلاد القبائل ومئة وسبعين عن منطقة الأوراس[٤]، وعَمِلت دراسات هؤلاء إلى تشويه الحقائق عن أصل البربر ونَسْبَهم إلى أصولٍ غير عربية، ولزيادة شِقَّة الهوَّة بينهما ادَّعت أنَّ البربر لم يكونوا مسلمين، وأنَّ إسلامهم سطحي ويجب أنْ يعودوا إلى المسيحية، لذلك قامت فرنسا بحملةٍ لتنصيرهم، ثمَّ حاربت اللغة العربية والتعليم الإسلامي والقضاء الشرعي في المناطق التي تقطنها القبائل البربرية[٥]، وفق إجراءاتٍ عدَّة، أهمها:

أولاً: البحث عن أصل البربر.

إنَّ كلمة البربر (Barbari) لا تدل على عنصرٍ أو قومية، بل هي كلمة لاتينية (Barbirus) وتعني أعجمي، أطلقها الرومان على سكَّان أفريقيا؛ لأنَّهم لم يفهموا لغتهم، وكلمة البربر أو البرابرة تعني المتوحشين أو الهمج، هذهِ التسمية التي يأنفها القوم أنفسهم ويرفضونها، ويُطلقون على أنفسهم تسمية (الأمازيغ) التي تأتي بمعنى الأحرار أو الشجعان أو الأشراف، وهم فعلاً معروفون بشجاعتهم ومقاومتهم للغُزاة الأجانب[٦].

مثلما اختلف المؤرخون والعلماء في أصل كلمة البربر والأمازيغ، اختلفوا أيضاً في أصل هؤلاء القوم، فبعض الأوربيين عدَّهم أقوام وفدت إلى المغرب العربي من أوربا واستقروا فيها، وبعضهم عدَّهم من القبائل الجرمانية أو من قبائل السِّلت Celts الفرنسية، مؤكِّدين أنَّهم هاجروا من أوربا في مختلف العصور واستقروا في الشمال الأفريقي،

وعزَّزوا دراساتهم وأبحاثهم هذهِ بآراءٍ وأفكار تتفق مع المصالح الاستعمارية الفرنسية ليؤكدوا فرنستها وإدماجها بفرنسا، وتعززت هذهِ الدراسات بعد الاحتلال الفرنسي لتونس عام ١٨٨١م، حين فرضت الجنسية الفرنسية على أبنائها، وبعد فرض الحماية على المغرب الأقصى ١٩١٢م، وإصدارها الظهير البربري عام ١٩٣٠م، عدَّ بعض الباحثين أنَّ هؤلاء الأقوام وفدوا إلى شمال أفريقيا من آسيا في عصور ما قبل التاريخ[٧].

إنَّ الذين ينادون بالأصل الأوربي يعدون البربر من أصلٍ هندي أوربي، أو ينسبونهم إلى يافث بن نوح (عليه السلام)، يؤكدون خروجهم من الهند إلى بلاد فارس إلى بلاد القوقاز، وأنَّهم عبروا شمال أوربا من فنلندة إلى الدول الإسكندنافية ثمَّ إلى إسبانيا ثمَّ إلى شمال أفريقيا، ويستدلون على ذلك من المسلَّات والمصاطب الأثرية التي تركوها على الساحل الأفريقي الشمالي، ومن أسماء قبائل الكيماريين في فنلندا والسويد، وبني غمارة في المغرب الأقصى، وخمير في تونس، وهي أسماء متشابهة ومكتوبة بالحرف الروني[٨] runic alphabets، وهي شبيهة بالخط اللوبي المنقوش على الصخور في شمال أفريقيا، في حين اكتُشفت في تلك المنطقة آثار لإنسان العصر الحجري بأقسامهِ الثلاثة، في الوقت الذي كانت فيه أوربا مُغطَّاة بالجليد[٩].

عندما أخفقت المدرسة الاستعمارية في إثبات نظرية الأصل الأوربي للبربر، اتخذت الأصل الحامي للبربر وأعلنت أنَّ البربر من أصلٍ حامٍ، وأشاعت بوجود عِرق حام قادم من الجزيرة العربية واستقر بالسودان وأماكن أخرى، يتكلَّم لغاتٍ متباينة ذات سِمَاتٍ مشتركة، وأنَّ البربر مجموعة مستقلة وأنَّها والسامية فرعان متمايزان لا يمكن أنْ يكون أحدهما تابعٌ للآخر، أي أنَّ البربر لا صلة لهم بالعرب، ولا يرتبطون معهم بأيِّ أصل، وهذا بيت القصيد في توجهات المدرسة الفرنسية، إلَّا أنَّها سرعان ما انهارت هذهِ النظرية لافتقارها إلى أُسسٍ علمية منها الوحدة اللغوية الداخلية التي لم توجد أبداً[١٠].

بعدها عدَّ بعض علماء الانثروبولوجيا والتاريخ الفرنسيين أنَّ البربر من جنس ما يُسمَّى جنس البحر الأبيض المتوسط Mediterranean race، الذي عُرف منذ ما قبل التاريخ بالعيش إلى جوار هذا البحر، ويتميز بخصائص هيكلية مثل طول الجمجمة والأسنان، إلَّا أنَّ هذهِ النظرية أُهملت بسبب عدم استنادها إلى أُسسٍ علمية لإطلاقها بشكل مُعمَّم، ولكونها لا تستوعب عوامل التطور والهجرات المتنوعة في العصور السَّحيقة التي لا نعرف عنها الشيء الكثير[١١].

وأمَّا الدراسات الأوربية المُنصفة والمؤرِّخون البربر والعرب يُرجعون أصول البربر إلى العنصر السامي، فعلماء الانثروبولوجيا أمثال: الانثروبولوجي الإيطالي سيرجي Giuseppe Sergi (١٨٤١-١٩٣٦م)، والبريطاني سيلجان Charles Gabriel Seligman (١٨٧٣-١٩٤٠م)، يعتقدون بوجود قرابة جنسية (عِرقية) بين البربر والساميين، معتمدين في ذلك على تقارب لغة العرب الدارجة من اللغات السامية، ويؤكد هؤلاء أيضاً على وجود بعض الصفات الجنسية بين الاثنين، ويعتقدون بوجود الساميين في المغرب العربي قبل نحو ثلاثة آلاف سنة تحت اسم (ليبو)، وكان هؤلاء يتميزون بشقرة لون الشعر، وزُرقة العينين، وبياض الوجه، وهي صفات ما زالت تنطبق على بعض سكَّان المغرب العربي في الريف

(شمال المغرب الأقصى) وجبال جرجرة[١٢]، كما فنَّد المؤرخ الأمريكي ويليام لانغر William Leonard Langer (١٨٩٦-١٩٧٧م) هجرة البربر من أوربا، مؤكِّداً أنَّ جميع الهجرات البشرية في حوض البحر المتوسط قد تمَّت من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب وليس العكس؛ لأنَّها كانت تتمتَّع بحضاراتٍ أكثر رقياً من حضارات الشمال الغربي[١٣]، كما حاول المؤرِّخون العرب تأكيد عروبة البربر سواءٌ كانوا قد هاجروا من شبه الجزيرة العربية أو اليمن أو بلاد الشام أو العراق، وأكَّدوا أنَّ موطنهم الأصلي الأرض العربية، فهم خرجوا منها في أوقاتٍ مختلفة لأسبابٍ عدَّة، متخذين من مصر مَعبَراً لهم إلى المغرب العربي الذي استوطنوه واستقروا فيه، وأنَّ الذين يحاولون نسبهم إلى العنصر الأوربي ليس لهم أيَّ دليلٍ سوى أنَّهم يهدفون من ذلك إلى تفريق البربر عن العرب وإضعافهما ومن ثمَّ التحكم بهم، فضلاً عن أنَّ الهدف من ردِّهم إلى الأصل الأوربي هو دفعهم إلى الديانة المسيحية وردِّهم عن الإسلام[١٤].

ثانياً: المدرسة التاريخية وتحريف تاريخ البربر.

قال الكاردينال لافيجري Charles Martial Lavigerie (١٨٢٥-١٨٩٢م) في مؤتمر التنصير في منطقة القبائل الجزائرية عام ١٨٦٧م: "إنَّ رسالتنا هي دمج البربر في حضارتنا التي كانت هي حضارة آبائهم"[١٥].

المقولة أعلاه تبين تصميم الاستعمار الفرنسي على محو كلِّ مقومات المغرب، ممَّا جعله يتناول تاريخها بالتحريف والتشويه في شتَّى العصور والمجالات، معتمداً على متخصصين في فروعٍ متنوعة مثل المدرسة التاريخية، إذ أراد الفرنسيون تكييف المنطقة بأجمعها وفق طموحاتهم، إذ إنَّ العلاقة بين العرب والبربر مهمة في نظرهم؛ لأنَّ بقاءه ومستقبله في المغرب يتوقف على تحطيم هذهِ العلاقة ونهايتها، لذلك فسَّر الكثير من المؤرِّخين الموالين للسياسة الفرنسية أوجه الصِّراع الذي عرفته منطقة المغرب العربي منذ مجيء الإسلام على أنَّها مظاهر متنوعة قديمة للنزعة البربرية وشكل من أشكال التعبير القومي للبربر[١٦].

ويتخذ هؤلاء المؤرِّخون من قضية أو حادثة كسيلة[١٧]، والكاهنة[١٨]، وحركة الخوارج، ودولة برغواطة (سواءٌ كانت ديناً أو دولة)[١٩]، وارتداد بعض القبائل البربرية[٢٠]، مثلاً على هذهِ النزعة والوعي بالبربرية، موجِّهين الأنظار إلى أنَّ البربر كانوا رافضين منذ البداية قدوم العرب الغرباء، وقد نسجت المدرسة التاريخية الاستعمارية صورةً من خلال تفسيراتها وسردها للأحداث ليس للمرء معها إلَّا أنْ يقتنع فعلاً بأنَّ البربر والعرب مجموعتان مُتمايزتان عِرقياً، وأنَّ الأحداث في القرون الأول والثاني والثالث للهجرة عبَّرت عن هذا التمايز وعن النزوع القومي والروح الاستقلالية للبربر[٢١].

وفنَّد الكثير من الكُتَّاب والمؤرِّخين ما جاءت بهِ المدرسة التاريخية الفرنسية بشأن انتفاضة البربر، إذ أكَّدوا أنَّها لم تكن لأسبابٍ قومية وصراعاً بين جنسين مختلفين، وإنَّما جاءت كردِّ فعلٍ على سوء إدارة بعض الولاة العرب تجاه البربر كعُقبة بن نافع (ت٦٣هـ/ ٦٨٣م) وغيرهِ، ممَّا ولَّد ردَّ فعلٍ ضدَّ هذهِ الإدارة وليس على السلطة المركزية، كما أنَّهم لم يقصدوا من ثوراتهم القضاء على الوجود العربي، بل عرفت المغرب في تاريخها الإسلامي الطويل دولاً كبيرة وأخرى صغيرة أسَّسها البربر عِبرَ

مراحل مختلفة وكان لبعضها دورٌ تاريخي بارز على مستوى المنطقة بكاملها، ولا نعرف أبداً أنَّ واحدةً من هذهِ الدول أُنشئت على النزعة البربرية أو نادت بها وصدرت عنها في تصرفها السياسي[٢٢].

ثالثاً: مُحاربة التعليم الإسلامي واللغة العربية وتلهيجها وإحياء اللغة البربرية.

عَمِلت السلطة الفرنسية على محاربة اللغة العربية والتعليم لطمس الثقافة العربية الإسلامية، وتشكيل مدارس فرنسية وبربرية لإحلال اللغة الفرنسية محلَّ اللغة العربية، ومن أجل ذلك فتحوا المدارس الفرنسية، وأغلقوا الكتاتيب والمدارس القرآنية في المناطق التي يقطنها البربر، وحظروا فيها تدريس القران الكريم، وعرقلوا وصول رجال الطُّرق الصوفية وعلماء الدين والوعَّاظ إلى تلك القبائل[٢٣].

كما عَمِلت سلطات الاحتلال الفرنسي على محاربة اللغة العربية ومؤسَّساتها الثقافية في أنحاء المغرب العربي، لاسيَّما بين البربر بموجب مجموعةٍ من القرارات أدت إلى تقليص حجم ونوعية التعليم ومدارسهِ طوال زمن الاحتلال، واستندت بذلك على مبدأ رئيس هو القضاء على اللغة العربية بوصفها لغةٍ أجنبية، فحلَّت اللغة الفرنسية وسادت في جميع مرافق الحياة[٢٤]، إذ يؤكِّد الكولونيال والكاتب الفرنسي بول مارتي Paul Marty (١٨٨٢-١٩٣٨م) في كتابهِ (مغرب الغد)[٢٥]، الصادر في عشرينيات القرن العشرين: «هذهِ المدرسة الفرنسية البربرية باعتبار ما يُقرأ فيها، وبربرية باعتبار تلاميذها، فلا حاجة بنا إلى واسطة أجنبي، حيث أنَّ التعليم العربي وتدخل الفقهاء وكلَّ المظاهر الإسلامية ستبعد عناها إبعاداً، وأننا سنجذب إلينا بواسطة هذا التعليم الصبيان البرابرة، وبذلك نُبعدهم قسراً عن كلِّ ما يُطلق عليه لفظ إسلام»[٢٦]. ويُضيف أيضاً: «إنَّ المدارس البربرية يجب أنْ تكون خلايا للسياسة الفرنسية وأدوات الدعاية، بدلاً من أنْ تكون مراكز تربوية بالمعنى الصحيح»[٢٧].

ومن أجل تنفيذ فرنسا لسياستها التعليمية فقد أصدرت الإقامة العامة بلاغاً رسمياً بتاريخ ٢٢/ أيلول عام ١٩١٥م، يقضي بجعل اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية للجماعات البربرية، وبها تُكتب جميع المداولات في سجلَّات الجماعات، وبها تُسجل العقود والسَّندات[٢٨]، وأورد الجنرال لويس ليوتي Louis Hubert Gonzalve Lyautey (١٨٥٤-١٩٣٤م)، وهو أول مُقيم فرنسي في المغرب (١٩١٢-١٩٢٥م)، في إحدى رسائلهِ إلى العاملين الفرنسيين من ضباط المخابرات في المغرب: «إنَّها اللغة العربية تمثل في أعين هؤلاء البربر ما حاربوا ضدَّه منذ ثلاثة عشر قرناً أي الاندماج العربي... إنَّ العربية عنصر أسلمة لكونها تُلقَّن في القرآن، أمَّا مصلحتنا فتفرض علينا أنْ نجعل البربر يتطورون خارج إطار الإسلام... نلزم خلق مدارس فرنكو-بربرية حيث نُعلِّم الفرنسية إلى البربر الشباب»[٢٩].

لذلك قامت فرنسا ببناء عددٍ من المدارس الابتدائية على حدود مناطق البربرة لمنع اتصال البربر بإخوانهم العرب من أجل ضمان نجاح مشروعها، وقامت بفتح بعض المدارس الثانوية بمناطق البربر أيضاً، حيث كانت أشهر تلك المدارس الثانوية (ازوا) البربرية، التي فتحتها سلطة الاحتلال عام ١٩٢٤م، بعد ذلك تزايد فتح المدارس[٣٠].

أمَّا أهم القرارات التي أصدرتها فرنسا لمُحاربة اللغـة العربيـة في الجزائر هـو القرار الـذي أصدره المُقيـم الفرنـسي فيها عـام ١٨٧١م، يمنـع بموجبهِ عـلى الجزائريـين منعاً كلِّياً اسـتعمال اللغـة العربية، ومَـا أنْ جـاء عـام ١٨٩٢م حتَّـى كانـت المدارس الفرنسية قد انتشرت في المناطق البربرية، في ولايتي بجاية وتيـزي وزو موطن أغلـب الأمازيغيين، بل إنَّ الكابتـن لوغلاي المُـشرف الفرنسي على التعليم في الجزائر، وقف خطيباً أمام المُعلِّمين الفرنسيين في بـلاد القبائل، قائلاً: «علِّموا البربر كلَّ شيء ما عدا العربية والإسلام»[٣١].

واسـتكمالاً لسياسـتها في إقصاء اللغـة العربية مـن التعليـم، أصـدر روبـرت شـومان Jean-Baptiste Nicolas Robert Schuman (١٨٨٦-١٩٦٣م) وزيـر الخارجيـة الفرنسي عام ١٩٣٨م مـا عُرف بـ(قرار شـومان)، الذي جاءت أحـد بنـودهِ لتؤكد: «منـع اللغة العربيـة في الجزائر وعدَّهـا لغـةً أجنبيـة»[٣٢]، وأكَّـدت السـلطات الفرنسـية في الجزائر في الخامس من آذار/ ١٩٤٧م: «إننـا نرى أنَّـه لا العربية الدارجة التـي ليس لها إلَّا قيمـة اللهجة المحليـة، ولا العربيـة الفصحى التي هـي لغـة ميتة، ولا اللغـة العربية الحديثـة التي هي لغة أجنبية بإمكانها أنْ تؤسِّس مادةً إلزامية للتعليم الابتدائي، إننا نُنبِّه إلى أنَّ تعليم اللغة العربية في هذا البلد يُعتبر شكلاً قمعياً من التعريب»[٣٣].

عليه فقد كانت السياسـة التعليمية للفرنسـيين تقـوم عـلى تجريـد الشـعب العـربي مـن هويتـهِ الدينيَّـة والعقائديـة العربيـة، بالعمـل عـلى محاربة اللغـة العربيـة والقضـاء عليهـا مـن أجـل فرنسـة Francization or Francisation الشعب، وفي هـذا الإطار يقول أحد الفرنسـيين: "إذا أردتم أنْ تدمجـوا أفريقيـا الشـمالية – المغـرب العربي – في العائلـة الفرنسـية، فـما عليكـم إلَّا أنْ تضربوا على أيدي اللغة العربية، فإنْ توصلتم إلى قتلها توصلتم إلى الإدماج"[٣٤].

أمَّـا تلهيـج اللغـة العربيـة فهي خطـوة مُكمِّلة لسياسـة فرنسـا البربريـة، الغـرض منهـا تحويـل اللغـة العربية إلى لهجاتٍ دارجـة تحل محلَّها، وذلك بالاعتـماد عـلى اللهجـات العاميـة المُشـتقة منهـا والقضاء عليها بصفتها لغة مشـتركة لأبناء المغرب العـربي، وبـما أنَّ اللهجة العامية رائدة في مسـتواها الاجتماعي المتخلف، فهي لا تستطيع في المستويات الأرقى والأبعد أثراً أنْ تكون أداةً لتحضير الإنسان وتمدينـه في شـتَّى المجـالات مـن تعليـمٍ وثقافـةٍ وأبحـاثٍ وتنظيـم إداري وغـير ذلـك، وطالما هي بهذا القصـور فإنَّ الناس سـيزهدون فيهـا لا محالة وسـينتهي أمرها، وبالتالي فإنَّه لا مفرَّ من اسـتعمال الفرنسـية بوصفها طريق الحضارة الحديثة، وبالتالي فإنَّ الاسـتعمار يكون قد تغلَّب عـلى العراقيل التي تحول دون عملية الدمج والإلحاق[٣٥].

لذلك لقيت عملية التعريب في الجزائر مشاكل وعراقيـل عـدَّة، لاسـيَّما مـن الإدارات الجزائريـة الناطقـة بالفرنسـية، والتـي تهـدف إلى الحفاظ على هـذهِ اللغة بوصفهـا لغة العِلم والتقـدم والمدنيَّة في نظرهـم، وكان بتأثير الدعاية الفرنسـية التي تروِّج أنَّ اللغة العربية هي لغة الشعر والدين، ولا تصلح أنْ تكون لغة العِلم والتقدم كاللغة الفرنسية، وهذا تجنٍّ كبير وأهدافه واضحة ومكشوفة[٣٦].

اسـتعمل البربـر أبجديتـين، الأولى دَرَج الباحثـون عـلى تسـميتها بـ(اللوبيـة)، أمَّـا الثانيـة فتُسـمَّى (التيفينـاغ)، وقـد اسـتغلتهما المدرسـة

التاريخيـة الفرنسـية ودُعـاة النزعة البربرية وسـعيا إلى ربطهـا بـما عُرِف مـن كتابـاتٍ أوربيـة قديمة، ومـن ثـمَّ إحياؤهما سـعياً لتأصيـل الهويـة البربرية (الأمازيغيـة)، فطُرحت آراء كثيرة في هذا الشـأن، وعُقـدت من أجلِ ذلك الملتقيات الثقافية واللغوية لدراسـة هـذا الموضـوع ووضـع الخطـط العلميـة لتجسيدهِ على أرض الواقع[٣٧].

لم تُسـتعمل الكتابـة البربريـة في التدويـن والمُعامـلات، ولم تُتَّخـذ أداةً للثقافـة والتغـير الحضـاري، بـل كانـت خاصـةً بتسـجيل أسـماء الموتـى والأضرحـة، ولم تخـرج من هذا الميـدان إلَّا في أشـياءٍ محدودة، وهاتان الأبجديتـان قريبتان من الأبجديـات العربيـة القديمـة، وإنَّ الخطَّين اللوبي والتيفيناغ هما شـكلان من أشكال الخطوط العربية القديمة، وهي تشبه إلى حدٍّ كبير الخط المسند، وهذا يعني أنَّها من أصلٍ ثقافي واحد[٣٨].

إنَّ محـاولات إحيـاء اللغـة البربريـة مـن قبـل الدوائر الفرنسـية كانـت تواجه مشـكلاتٍ كبيرة؛ لأنَّهـا لم تكن لغةً موحَّدة، بل هي عبارة عن لهجاتٍ عـدَّة مُندرجة ضمن لهجاتٍ كبرى يصعب التفاهم مع بعضها (الشـلحية في جنـوب المغرب، والريفية في شـمالهِ، أمَّـا في الجزائر فتوجد الزناتية والشـاوية والطوارقية والقبائلية)، إلَّا أنَّ هناك سِمَات مشتركة وخصائـص عامَّة تجمع بينهـا، فهي كتابة صامتة لا حركات لها، ولا حروف إشـباع[٣٩]، وإنَّ ٨٠٪ من مفرداتها ذات جـذور عربية قديمة تعـوَّد الأمازيغ كتابتها بالخط العربي، فشـجَّعت فرنسـا على إحياء خـط التيفينـاغ القديـم الـذي اندثـر قبـل آلاف السـنين، وشـجَّعت في الوقـت نفسـهِ عـلى كتابتها بالخط اللاتيني، وكلَّ ذلك بتخطيطٍ من الأكاديمية البربرية بباريس، التي أنشـأتها فرنسا عام ١٩١٣م، بـل إنَّها أدمجت في عام ١٩٢٥م مـادة اللغة البربرية في معهد الدراسات العليا بمراكش[٤٠].

وللغرض ذاتهِ أنشـأ الفرنسيون في باريس عام ١٩٦٧م معهـد الدراسـات البربريـة (الأكاديميـة البربريـة) Berber Academy، الـذي أخـذ على عاتقهِ بلـورة المطالب البربرية ووضع مفرداتٍ موحَّـدة للغـة البربرية، وعَمِل عـلى إزالة المفردات العربية منها واسـتبدالها بكلماتٍ أخرى، وعيَّنت في إدارتـهِ الكاتـب الجزائري البربـري مولود معمري (١٩١٧-١٩٩٢م)، الذي كان من الدُعاة الأوائل إلى (أمزغة) الجزائر، والذي يُحاكي بأفكارهِ المدرسة التاريخية الفرنسية[٤١].

وفي هـذا الاتجاه بدأت فرنسـا بوضـع المعاجم اللغوية للهجات المحلية البربرية وأصدرت مجلَّاتٍ عدَّة بهذهِ اللهجـات، وافتتحت قناةً إذاعية موجَّهة إلى الجزائـر تبـث برامجهـا بلهجـة سـكَّان القبائـل الكبرى(تيزي اوزو وما حولها)، وهي المنطقة التي يُراهن عليها الاسـتعمار على أنَّها سـتتفرنس وتُطبق منها الفرنسية إلى المناطق الأخرى[٤٢].

كـما أسَّسـوا معهد البحـوث العليـا في المغرب الأقـصى، واختص هـذا المعهد في إعـداد البحوث والدراسـات المطوَّلـة عـن البربـر، فاهتم بدراسـة آدابهم ولهجاتهـم وعاداتهم وتقاليدهم، وتخرج من هذا المعهد عدد من المختصين بهذا المجال[٤٣].

كان الهـدف من كلِّ هذهِ الإجـراءات هو إيجاد جيـل من البربر منقطع الجذور عن أصولهِ العربية، متأثـراً بالحضـارة الفرنسـية مـن خـلال الدروس التـي كانت تُلقى عليهم، لاسـيَّما في مـادتي التاريخ والجغرافيـة، التـي كانـت تحـدد الحـدود الجغرافية لفرنسـا لتشـمل أقطـار المغـرب العـربي، وكذلك

لتمجيد فرنسا وتاريخها وقوتها العسكرية، وتفوقها على الشعوب الأخرى لتُثيره وتقنعه بأنَّه ليس عربي الأصل، ولتُبهره بعظمة فرنسا وحضارتها ولتُفهمه مدى تخلف العرب وانحطاطهم حتَّى يستصغروا أنفسهم وبلادهم[٤٤].

وتُظهر الإحصائيات انتشار المدارس الفرنسية بالمناطق الأمازيغية بنسبة ٥٠٪، مع تركز نسبة ٣٤٪ في ولاية بجابية وتيري أوزو، مع العِلم أنَّ نسبة الأمازيغ إلى السكَّان لا تتجاوز ٢٠٪، بحسب إحصائيات الإدارة الاستعمارية[٤٥]، كما حاول الفرنسيون تعيين مُعلِّمين تابعين إلى رجال الكنيسة ليقوموا بالتدريس والتبشير في الوقت نفسهِ[٤٦].

رابعاً: تنصير القبائل البربرية.

أدرك الفرنسيون أنَّ سيطرتهم على دول المغرب العربي لن تتم إلَّا بالقضاء على الدين الإسلامي، لذلك جنَّدوا كلَّ قواهم من أجل تحقيق ذلك الهدف، فاتخذت جملةً من التدابير لمُحاربة الإسلام، منها إشاعة أنَّ البربر ذوو إسلام سطحي ولم ينفذ إلى أعماقهم ولا يُشكِّل مُعتقداً حقيقياً بالنسبة لهم، فالقبائل الأمازيغية قبائل علمانية لا تعرف أين يبدأ الإيمان ولا أين ينتهي[٤٧]، وأنَّهم لا زالوا محتفظين بكثيرٍ من عاداتهم القبلية، وما يؤكِّد ذلك قول الجنرال بريمون Édouard Brémond (١٨٦٨-١٩٤٨م)، في كتابهِ (الإسلام والمناهج الإسلامية من وجهة النظر الفرنسية)[٤٨]، الصادر عام ١٩٢٣م: «يجب محو إسلام البربر وفرنستهم»[٤٩]. بل أخذت بطرد حَفَظة القرآن ورجال الطُّرق الصوفية من قبائل البربر، ومنعت البربر من الاختلاط مع العرب وذلك بمنع سفرهم إلى المدن وإلى المناطق العربية إلَّا بعد الحصول على جوازات سفر، واقتصر الاختلاط على البربر بالرهبان والمُبشِّرين بالدين المسيحي، وفرضت السلطات الفرنسية الحصار ضدَّ تسرب الكتب والمجلَّات الإسلامية للمناطق البربرية، لتحلَّ مكانها كتبهم ومجلَّاتهم التي تهاجم الإسلام[٥٠].

وأغلقت سلطات الاحتلال الفرنسي منذ بداية احتلالها الجزائر (٣٢) جامعاً، (١٣) مسجداً كبيراً، (١٠٨) مسجداً صغيراً، (١٢) زاوية دينيَّة، وتتابعت عمليات العدوان والإغلاق وتحويل المراكز الدينيَّة ومؤسَّسات الأوقاف (الحبوس) إلى إسطبلاتٍ للحيوانات أو إلى كنائس لدعم مؤسَّسات التبشير المسيحي، وتدفَّق المُبشِّرون في المناطق البربرية وقدَّموا لهم الإعانات من أجل تسهيل مهمتهم، وادعى هؤلاء أنَّهم لم يقوموا بنشر دينٍ جديد – المسيحية – بل هم وعَّاظ يقومون بواجباتهم الدينيَّة؛ ليذكروا إخوانهم سكَّان القبائل بدينهم القديم الذي أجبرهم العرب على تركهِ واعتناق الدين الإسلامي[٥١].

وهذا ما عبَّر عنه (روجيرك دوسال) في أحد مقالاتهِ، بقولهِ: «سنترك المسيحية تؤثر في نفوس البربر كما أثَّرت من قبل في نفوسنا، من غير أنْ نساعد عملها بوسائل شديدة أو رسمية بإفساح المجال لها وعدم تشجيع ما يعكسها، وهذا ما يُسِّهل من غير شك تفكيك عُرى الكتلة العربية، وبالتالي القضاء على الإسلام في أفريقيا الشمالية لفائدة حضارتنا وجنسنا، وبذلك تُحقِّق فرنسا هدفها في هدم وحدة المُجتمع الجزائري»، وقد حقَّقت هذهِ السياسة أهدافها وأدت التنشئة

الاستعمارية الثقافية إلى خلق نُخبة تنصَّل أصحابها من مسؤولياتهم الوطنية والقومية، ولا تقتصر أهداف المُستعمر على ذلك بل تتعداها إلى أغراضٍ أشد خطراً عبَّر عنها أحدهم، بقولهِ: «إنَّ السماح للمسيحية بأنْ تؤثر على روح البربر يعني ولاشك تسهيل تفتيت الكتلة العربية والقضاء عليها بقوة، وهذا يعني تبعاً لذلك القضاء على الإسلام في أرض شمالي أفريقية لفائدة حضارتنا وعِرقنا، ويتعيَّن أنْ نمنع بكلِّ الوسائل انتشار الإسلام في المحميات الفرنسية»[٥٢].

كان الهدف من ردِّ البربر إلى الأصول الأوربية هو دفعهم إلى الديانة المسيحية، إذ ألقى شارل العاشر Charles X (١٧٥٧-١٨٣٦م) ملك فرنسا خطاباً في مجلس الشيوخ، جاء فيه ما يؤكد ذلك، حين قال: «إنَّ التعويض الكبير الذي ستحصل عليه حكومتي رداً لشرف فرنسا، يؤول بحول الله وقوتهِ لإخواننا في الدين المسيحي»[٥٣]. وأدى رجال الدين المسيح دوراً كبيراً في خطوط السياسة البربرية الفرنسية، فقد كتب أُسقف الرباط في المجلَّة التي كان يُصدرها باسم (المغرب الكاثوليكي)، عام ١٩٢٠م، قائلاً: «ذهبنا عند البرابرة بواسطة الإنجيل، فلماذا لا يأتوا إلينا بواسطة الإنجيل؟ إنَّهم قريبون من الإنجيل، والإنجيل الذي يقرب منهم هو أعلى منهم، الإنجيل هو مستوانا الأخلاقي»[٥٤].

خامساً: إحياء الأعراف البربرية ومحاربة القضاء الشرعي.

عَمِلت السلطة الفرنسية على إحياء الأعراف البربرية التي كانت موجودة قبل الإسلام وإدماجها في القانون الفرنسي وتكوين خليط منها تفرضه على المغاربة حتَّى يتحاكموا إليه بدلاً من القانون الإسلامي، ولهذا بحثت في أعراف وعادات وتقاليد القبائل البربرية ودراستها وصياغتها وفق المنظور الفرنسي وتمَّ إصدارها وفق مراسيم حكومية[٥٥].

أمَّا في الجانب القضائي، أقرت فرنسا ما يُسمَّى (الإصلاح القضائي)، إذ جرَّدت السلطان المغربي من سلطتهِ القضائية، فإخراج القضاء الشرعي من ميزانية الدولة المغربية، فلم يعد القُضاة موظَّفون يتقاضون رواتبهم من الدولة، بل أصبحوا يتقاضون أجورهم من المدن من ريع الأوقاف الإسلامية، وفي البوادي يأخذون أُجورهم من المُتقاضين، كما وضعت إلى جانب كلِّ قاضٍ حاكم فرنسي يتولَّى مهمة الفصل بين المُتخاصمين في القضايا الشرعية، وألغت المحاكم الشرعية من عشرين قبيلة بربرية من أكبر القبائل وأكثرها عدداً، وطردت القُضاة الشرعيين المتواجدين فيها، ومنعت من إنشاء المحاكم القضائية في القبائل البربرية الخاضعة لسلطة السلطان[٥٦].

وأصدرت فرنسا عام ١٩٣٠م في المغرب ما يُسمَّى (الظهير البربري)، الذي وضعت من خلاله الأمازيغ تحت طائلة القانون الجنائي الفرنسي في القضايا الجنائية، أمَّا في الأحوال المدنية فدعت إلى تطبيق العُرف البربري بدلاً من الشريعة الإسلامية، بدعوى احترام التقاليد البربرية، فتمَّ بموجبهِ إخراج البربر من دائرة القضاء الشرعي وجعل مجلس القبيلة مختصاً بالنظر في تلك الشؤون[٥٧].

سادساً: سياسة إصدار الأعراف البربرية.

عَمِلت فرنسا تطبيقاً لسياستها البربرية إلى إصدار العديدة من الظهائر التي تعني الأمر السلطاني السامي، وهي توازي عبارة المرسوم أو المراسيم في المعنى المتداول في المشرق، فأصدرت ظهائرها في أيلول في ١٩١٤م، وفي ١٥/ حزيران/ ١٩٢٢م، وفي ١٦/ أيار/ ١٩٣٠م، كان الغرض الأساسي من هذا المراسيم هو وضع حجر الأساس للسياسة البربرية، فقد أرادت التأكيد وباسم السلطان أنَّه لا يزال في المغرب جنس خاص هو(البربر)، لتنفيذ سياستها مع التأكيد على وجود قوانين بربرية بجانب القوانين العربية، وحمل الأمازيغ على التخلي عن (الشريعة الإسلامية) باعتبارها قوانين عربية، لغرض القضاء على العنصر العربي في المغرب العربي[٥٨].

كما نصَّت هذهِ المراسيم على أنَّ جميع القضايا التي تحدث في القبائل البربرية والتي هي من اختصاص القضاة في التشريع الإسلامي، يرجع الفصل فيها بعد الآن إلى رؤساء القبائل، تخضع المُعاملات المدنية والتجارية والعقارية، وما يتعلَّق بالأملاك المنقولة للتشريع الخاص المُسمَّى بـ(العادات القبلية)، وإنَّ المحاكم الفرنسية الجنائية هي التي تحكم في الجنايات التي تُرتكب في المناطق البربرية و إنشاء محاكم عُرفية استثنائية للبربر[٥٩].

كان إصدار فرنسا للظهائر البربرية في المغرب العربي بعد إتمام استعداداتها لفصل الأمازيغ عن العرب في المغرب وإقامة كيانين منفصلين أحدهما يرتبط مباشرةً بفرنسا على جميع المستويات إدارياً وقضائياً وتعليمياً ودينياً، في أفق استيعابهِ وإدماجهِ في الحضارة الفرنسية اللاتينية المسيحية، وثانيها ربط السلطان بفرنسا بموجب الحماية كمرحلةٍ أولى لإلحاقهِ بفرنسا هو الآخر[٦٠].

سابعاً: سياسة فرنسا لتشجيع النزعة البربرية بعد استقلال دول المغرب العربي.

استمرت فرنسا بسياستها التحريضية ودعمها للنزعة البربرية حتَّى بعد خروجها من الجزائر عام ١٩٦٢م، واعتمدت في سبيل ذلك أساليب عدَّة مثل الترويج للثقافة الفرنسية، وتغذية الأفكار الانفصالية والعنصرية لدى بربر المغرب العربي، ورعايتها واحتضان القوى والنُّخب الثقافية والسياسة البربرية والأحزاب المعارضة، ودعمها بعقد مؤتمراتٍ عالمية للأمازيغ من أجل تكوين وطن موحَّد لكلِّ الشعوب الأمازيغية[٦١]، كالمؤتمر العالمي التأسيسي للأمازيغ عام ١٩٩٥م، الذي عقد مؤتمره الأول في جزر الكناري عام ١٩٩٧م، ومؤتمره الثاني في آب من العام نفسهِ، وحضره أكثر من أربعين جمعية ومنظَّمة أمازيغية من مختلف دول العالم، من أجل تكوين وطن واحد لكلِّ الشعوب الأمازيغية يُسمَّى (تمازغا)[٦٢].

الواضح أنَّ الدعم الفرنسي للأمازيغ الهدف منه هو تكوين من هؤلاء طابوراً خامساً داخل بلدانهم، وكانت على سبيل المثال الأحزاب التي ترعرعت ونشأت في فرنسا النواة الأولى للأحزاب البربرية الكبيرة التي تشكَّلت بعد عام ١٩٨٩م، وبعد أحداث عام ٢٠٠١م في الجزائر[٦٣]، إذ صرَّح وزير خارجية فرنسا: «إنَّ فرنسا لا يمكنها أنْ تظل صامتة في وجه ممارسة العنف والقمع الذي تُمارسه الحكومة الجزائرية ضدَّ الأمازيغ»، بل صاحَبَ هذا التصريح تحريك دعوة قضائية في باريس ضدَّ (خالد نزار) وزير الدفاع الجزائري، ورداً على أسئلة بعض النوَّاب الفرنسيين لوزير الخارجية الفرنسي في كلامهِ في الجمعية الوطنية الفرنسية على مطالب المتظاهرين الأمازيغ الشرعية، مؤكِّداً أنَّ فرنسا حسَّاسة لهذا النداء الذي ينبع من عمق الشعب الجزائري[٦٤].

كما قدَّمت فرنسا الدَّعم لدُعاة الانفصال في الجزائر والمغرب مستغلةً تهميش الحكومات الجزائرية والمغربية، لاسيَّما بعد نيلها الاستقلال لمطالب البربر الثقافية والحكومية كجعل اللغة الأمازيغية لغةً رسمية إلى جانب اللغة العربية، وحصولهم على المناصب الحكومية، لاسيَّما وأنَّ عدد من قادة الحركة الوطنية الجزائرية وقادة جبهة التحرير الوطني هم من أصولٍ بربرية[٦٥].

بعد ذلك تجاوبت الحكومة المغربية مع العديد من المطالب التي رفعتها الحركة الأمازيغية منذ مؤتمر أكادير عام ١٩٨١م، واتخذ إجراءاتٍ كان من بينها إنشاء المعهد الملكي للأمازيغية، وإدراج تعليم الأمازيغية في المقررات الدراسية، وضمِّ الدستور المغربي عام ٢٠١١م مادةً دستورية نصَّت على الاعتراف بها لغةً رسمية إلى جانب اللغة العربية، وتقديم نشراتٍ إخبارية في التلفزيون العمومي باللهجات الأمازيغية، الريفية والشلحية والأمازيغية، التي بدأ العمل بها عَقِب أحداث "الربيع الأمازيغي" عام ١٩٨٠م في الجزائر. وقد مكَّنت هذهِ الخطوات من الالتفاف على النَّهج الذي أراد بعض الأمازيغ المغاربة المتطرفين السير فيه، وهو النظر إلى المسألة الأمازيغية كقضيةٍ واحدة في المنطقة المغاربية دون أخذ الخصوصيات الوطنية بالاعتبار، وبالتالي ربط مصير الأمازيغ المغاربة بالأمازيغ الجزائريين[٦٦].

غير أنَّ تجاوب الدولة مع مختلف مطالب الحركة الثقافية الأمازيغية لم يكن كافياً، بحيث ظهرت مؤشرات على الرغبة في تسييس القضية الأمازيغية والمطالبة بإنشاء حزب سياسي انفصالي، وقد تزامنت تلك الرغبة مع ظهور نزعاتٍ انفصالية محلية في بعض مناطق المغرب ذات الغالبية الأمازيغية تدعو إلى الانفصال والحكم الذاتي، خصوصاً في منطقة الريف. وفي عام ٢٠٠٨م رفضت إحدى المحاكم في الرباط ملفاً تقدم بهِ بعض الأمازيغ لإنشاء حزب تحت اسم (الحزب الديمقراطي الأمازيغي)، انطلاقاً من معارضتهِ للدستور الذي يرفض إنشاء أحزاب على أساسٍ عِرقي أو ديني أو طائفي، لكن ذلك لم هؤلاء عن محاولة تجديد دعوتهم، إذ ظهرت مجدداً عَقِب أحداث الربيع العربي[٦٧].

الخلاصة:

تمثل العلاقات العربية – البربرية في بلدان المغرب العربي واحدةً من أهمِّ الملفات الأكثر حساسية ليس لأنَّها ترتبط بالعِرق واللغة والثقافة والدين فحسب، بل في التدخلات الإقليمية والدولية التي ميَّزت تاريخ هذهِ البلدان، وفي مقدمتها خضوعها لاستعمارٍ أجنبيٍّ طويل.

بدأت فرنسا سياستها البربرية بالتشكيك بأصل البربر ومحاولتها إرجاعهم إلى الأصول الأوربية غير العربية، من أجل زرع روح الفرقة بينهما، ومن ثمَّ حث البربر على اعتناق المسيحية وترك الإسلام، خصوصاً بعد عمليات التنصير الكبير التي قادها المبشرون الفرنسيون داخل مناطق البربر في الجزائر والمغرب الأقصى.

ولأنَّ اللغة العربية تُعد من أدوات القوة لدى العرب، وأكبر عامل في وحدة ثقافتهم قبل الإسلام وبعدهِ، لِما تتَّصف بهِ من الغِنى والدقَّة، ممَّا جعلها واسعة المفردات، عليه فقد كانت السياسة التعليمية للفرنسيين تقوم على تجريد الشعب العربي المغربي من هويتهِ الدينيَّة والثقافية العربية بالعمل على مُحاربة اللغة العربية والتعليم والقضاء

عليهما من أجل فرنسة الشعب، ومن ثمَّ دمجهِ أو إلحاقهِ وضمِّهِ إلى العائلة الفرنسية، ثمَّ لجأت إلى تحريف التاريخ الإسلامي للبربر وتفسيره بما يخدم مصالحها وممَّا يحول دون التقاء العرب بالبربر، باعتبار أنَّ الأول غرباء على المنطقة.

بعدها لجأت إلى إصدار مجموعة من الظهائر (المراسيم) كان الهدف الأساسي منها إحياء أعراف الأمازيغ ما تُميت بهِ (الشريعة الإسلامية) لحماية مصالحها في البلاد، ولتعميق الشَّرخ الاجتماعي الذي دقَّت إسفينه بين العرب والبربر منذ أنْ وطأت قواتها أرض المغرب العربي، وإثارة الفرقة بين أبناء الشعب العربي في هذهِ البلاد.

أدركت فرنسا بعد إنهاء احتلالها العسكري لدول المغرب العربي أنَّ خير وسيلة لتعويض ذلك هو الاهتمام بالجوانب الثقافية والفكرية والعِرقية للمغاربة، ووجدت في القضية البربرية الوسيلة التي تستطيع من خلالها ضرب الوحدة الوطنية وتفكيكها، فأخذت تُبدي دعمها العلني للبربر من خلال دعمها واحتضانها للنُّخب السياسية والثقافية المعارضة للحكومات المغربية، التي تحولت مطالبهم الثقافية والفكرية إلى مطالب سياسية، وفي بعضها ظهرت دعوات انفصالية في ضوء ما كان يجري في المنطقة العربية.

الهوامش:

(١) محمد علي داهش، **المغرب العربي المعاصر**، (الموصل، مركز الدراسات الإقليمية، ٢٠٠٩م)، ص٢٤-٢٥.

(٢) ومن الملاحظ أنَّ القضية البربرية لم تظهر في وقتٍ مبكر في أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر ١٨٣٠م، نتيجة أسبابٍ متعددة، إلَّا أنَّ بوادرها الأولى بدأت تظهر إلى الوجود على خلفية ما كان يجري في الشرق الإسلامي تحت اسم المسألة الشرقية. للمزيد، يُنظر: إدريس الكنبوري، «**من المسألة البربرية إلى المسألة الشرقية.. النزعة البربرية الأمازيغية بين الثقافي والسياسي**»، الرباط، مجلَّة المجتمع، العدد ١٢٩٢، ١٤/ ٣/ ٢٠٠٠م، ص٢٢.

(3) *Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie (Kabyles du Djurdjura, Chaiuïa de l'Aourâs, Beni Mezâb)*, Paris: E. Leroux, 1886.

(٤) للمزيد من التفاصيل عن أهم الدراسات المؤسِّسة للدعوة البربرية في الجزائر، يُنظر: ناصر الدين سعيدوني، «**المسألة البربرية في الجزائر.. دراسة للحدود الإثنية للمسألة المغاربية**»، مجلَّة عالم الفكر، الكويت، المجلَّد (٥٢)، العدد الرابع، نيسان - تموز/ ٢٠٠٤م، ص١٤٤-١٤٧.

(٥) إدريس الكنبوري، مرجع سابق، ص٢٢.

(٦) حول ما أثاره مُصطلحي البربر والأمازيغ من جدلٍ وتفسيرات، يُنظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن مُحَمَّد (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، **كتاب العِبر وديوان المبتدأ والخبر**، (بيروت، ١٩٥٩م)، ج٦، ص١٧٩-١٨٢؛ مؤلِّف مجهول، **مفاخر البربر**، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، (الرباط، دار أبي رقراق، ٢٠٠٤م)، ص١٩٥-١٩٩؛ عثمان الكعاك، **البربر**، (تونس، ١٩٦٥م)، ص٦٥-٦٧؛ عثمان سعدي، «**الأصول العربية للبربر**»، مجلَّة آفاق عربية، العدد التاسع، بغداد، ١٩٨٠م، ص٦-٢٥؛ مجيد حميد يونس الحمداني، «**عروبة البربر في المغرب العربي.. دراسة تاريخية**»، مجلَّة الساعة، بغداد، بيت الحكمة، السنة الثانية، آذار/ ١٩٩٩م، العدد السابع، ص١٠٧-١١١؛ محمد المختار العرباوي، **في جذور المسألة البربرية.. البربر عربٌ قدامى**، ط٢، (تونس، مطبعة فن الطباعة، ٢٠٠٠م)، ص٢٨-٤١.

(٧) عثمان الكعاك، مرجع سابق، ص٦٤؛ رشيد الناضوري، **المغرب الكبير.. العصور القديمة**، ط٢، (القاهرة، ١٩٦٦م)، ص٦٦.

(٨) الحروف الهجائية الرونية: باللغة النوردية القديمة: (رون) rún. هي مجموعة من الحروف الأبجدية كانت تُستخدم في كتابة مختلف اللغات الجِرمانية قبل اعتماد الأبجدية اللاتينية، ثمَّ بعد ذلك استُخدمت لأغراضٍ متخصصة. وتُعرف في بعض المناطق الإسكندنافية باسم (فوثارك) futhark أوfuþark . أمَّا عِلم الرونولوجي Runology فهو دراسة الحروف الهجائية الرونية والمخطوطات والأحجار المنقوشة بهذهِ الأحرف وتاريخها، ويُعد علم الرونولوجي فرعاً متخصصاً من علم اللغات الجرمانية، وترجع أقدم النقوش الرونية إلى العام ١٥٠م، ولقد تمَّ استبدال الأحرف الرونية بالأبجدية اللاتينية عندما اعتنقت الشعوب التي كانت تستخدم الرونية الديانة المسيحية حوالي ٧٠٠م في وسط أوربا، وحوالي ١١٠٠م في شمال أوربا، ومع ذلك استمر استخدام الأحرف الرونية لأغراضٍ متخصصة في أوربا الشمالية، وظلَّت الرونية تُستخدم في الريف السويدي لأغراضٍ زخرفية في (دالارنا)، وفي (التقويم الروني) حتَّى مطلع القرن العشرين. [المُحرر]. لمزيدٍ من التفاصيل، يُنظر:

Antonsen, Elmer H., «*On Defining Stages in Prehistoric Germanic*", Language, 1965, vol. 41, issue (1), Pp.19–36; Mees, Bernard, "*The North Etruscan Thesis of the Origin of the Runes*", Arkiv för Nordisk Filologi, 2000, vol. 115, Pp.33–82.

(٩) رشيد الناضوري، مرجع سابق، ص٦٦؛ مجيد حميد يونس الحمداني، مرجع سابق، ص١٠٨-١٠٩.

(١٠) للمزيد، يُنظر: محمد المختار العرباوي، **البربر عربٌ قدامى**، ص٣٩-٤٠.

(١١) المرجع نفسه، ص٤١-٤٣.

(١٢) نقلاً عن: مجيد حميد يونس الحمداني، مرجع سابق، ص١٠٨-١٠٩.

(٣) ويليام لانغر، **موسوعة العالم**، ترجمة: زكي علي، (القاهرة، ١٩٥٢م)، ج٢، ص٣٢.

(٤) للمزيد عن هذهِ الآراء، يُنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، **فتوح البلدان**، (القاهرة، ١٩٥٦م)، ج١، ص٢٥٦؛ الطبري، مُحَمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٣م)، **تاريخ الأُمم والملوك**، (القاهرة، ١٩٣٩م)، ج١، ص٣٤٣-٣٦٤؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، (بيروت، ١٩٨٦م)، ج٢، ص١٢٩؛ ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، **معجم البلدان**، (القاهرة، ١٩٥٦م)، ص١٠٤؛ ابن خلدون، مصدر سابق، ص ١٨٩-١٩٢.

(٥) إدريس الكنبوري، مرجع سابق، ص٢٣.

(٦) محمد المختار العرباوي، **البربر عربٌ قدامى**، ص٥٣؛ ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص١٤٩.

(٧) كسيلة بن أغزر البرنسي Kusaila (٦٤٠-٦٨٦م): كان من الموالين للروم، وقبيلته من القبائل الأمازيغية (البربرية) التي اعتنقت الإسلام وارتبطت بالبيزنطيين بروابط وثيقة، لكن ارتباط كسيلة بالروم قائم أساساً على المنفعة الذاتية واكتساب الحظوة والنفوذ، فقد استخفَّ عقبة بكسيلة وأمعن بالإساءةِ إليه، إذ أتى عقبة بذودٍ من الغنم للعسكر، وأمر عقبة كسيلة أنْ يسلخ مع السالخين، فقال: أصلح الله الأمير، هؤلاء فتياني وغلماني يكفوني، فنهره عقبة، وقال له: قُم، فقام كسيلة مُغاضباً، فكان كلَّما دمس في الشاة مسح بلحيتهِ مَا علق بيدهِ من بللِ ذلك، وجعل العرب يمرون عليه وهو يسلخ، ويقولون له: ما هذا الذي تصنع ؟ فيقول: هذا جيد للشعر، فمرَّ بهِ شيخٌ من العرب، فقال: كلا إنَّه ليتوعَّدكم، فقال أبو المهاجر لعقبة: أصلح الله الأمير، ما هذا الذي صنعت ؟ كان رسول الله (ﷺ) يتألَّف جبابرة العرب كالأقرع بن حابس التميمي، وأنت تجيء إلى رجلٍ هو من خيار قومهِ في دار عزَّةٍ قريب عهدٍ بالكفرة فتُفسد قلبه ؟ توثَّق من الرجل، فإني أخاف فتكه، فتهادى عقبة في استخفافهِ واستهانته. للتفصيل أكثر، يُنظر: محمد المختار العرباوي، **في جذور المسألة القومية**، ص٥٣-٦٥.

(٨) هي: ملكة بربرية أسمها داهية بنت بن تيفان، كانت

زوجاً لرجل من قبيلة جراوة، إحدى قبائل البتر العظيمة المقيمة بجبل (أوراس)، جنوب القسطنطينية، وينتهي نسبة هذهِ الملكة إلى جدِّ هذهِ القبيلة المُسمَّاة (جراو)، كانت مُقيمة في عاصمتها، ولها ولدان أحدهما أبوه بربري والآخر يوناني، وكانت تدَّعي الاطلاع على أحوال الغيب والتكهن للناس، فعُرفت بذلك واشتهرت بلقب الكاهنة، وقيل إنَّها على دين اليهودية، عاشت مئة وسبعاً وعشرين وحكمت خمسة وعشرين سنة، كانت الكاهنة تعتقد في ضوء تفكيرها البدوي بأنَّ العرب جاءوا للسَّلبِ والنَّهب، وقررت تخريب المدن والبساتين، وقد أغضب هذا التصرف أصحاب تلك البساتين والمدائن من الروم والأمازيغ فاستعانوا بحسان بن النعمان الغسَّاني، للتخلص منها وسياستها المخربة، فقد حاربت الكاهنة العرب وهي تجهل عنهم كلَّ شيء، بعد احتكاكها بهم من خلال حديثها مع الأسرى، اكتشفت أنَّ عاداتهم تتشابه مع لغتها وحياة قومها، وأدركت حقيقة العرب، لذا طلبت من أولادها اعتناق الإسلام، وعندما حاصرها المسلمون وطلبوا منها الاستسلام رفضت ثمَّ قاتلت حتَّى قُتلت، وتولَّى الحكم من بعدها ابنها وأخضع الأمازيغ إلى الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي. للتفاصيل أكثر، يُنظر: محمد المختار العرباوي، **في جذور المسألة القومية**، ص٦٤-٦٧.

(٩) للمزيد، يُنظر: إبراهيم خلف العبيدي، **البرغواطيون في المغرب (١٢٧-٥٤٢هـ)**، السلسلة التاريخية (١)، (مراكش، منشورات الجامعة، ١٩٨٣م).

(٢٠) محمد المختار العرباوي، **في مواجهة النزعة البربرية وأخطارها الانقسامية**، (بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠٢م)، ص١٥٨-٢٢٢؛ التجاني بولعوالي، **الإسلام والأمازيغية.. نحو فهم وسطي للقضية الأمازيغية**، (الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٧م)، ص٨١-١٠٠.

(٢١) محمد المختار العرباوي، **في جذور المسألة القومية**، ص٥٣.

(٢٢) مؤلِّف مجهول، مصدر سابق، ص١٣٣-١٥٣؛ عثمان سعدي، **عروبة الجزائر عِبرَ التاريخ**، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م)، ص١١٨؛ محمد المختار العرباوي، **في جذور المسألة القومية**، ص٥٣-١٠٣؛ التجاني بولعوالي، مرجع سابق، ص٨١-١١٨.

(٢٣) مجيد حميد يونس الحمداني، مرجع سابق، ص١١٧.

(٢٤) محمد علي داهش، مرجع سابق، ص٢٥.

(٢٥) نقلاً عن: منير عويد محسن الاسودي، **صدى الظهير البربري في الوطن العربي**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلِّية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٤م، ص٢٠.

(26) *Études sur l'Islam et les tribus maures*, les Brakna, 1920.

(٢٧) لقمان صالح أحمد القطَّان، **سياسة فرنسا تجاه البربر.. وأثرها على الحركة الوطنية المغربية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلِّية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٧م، ص١٩.

(٢٨) منير عويد محسن الاسودي، مرجع سابق، ص٢٠؛ ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص١٥٣.

(٢٩) نقلاً عن: محمد علي داهش، مرجع سابق، ص٤٥.

(٣٠) كريدية إبراهيم، **السياسة البربرية للحماية الفرنسية في المغرب**، (الدار البيضاء، ١٩٨٤م)، ص٤٨.

(٣١) إدريس الكنبوري، مرجع سابق، ص٢٣.

(٣٢) نقلاً عن: محمد علي داهش، مرجع سابق، ص٢٥-٢٦.

(٣٣) المرجع نفسه، ص٢٦.

(٣٤) عبد الكبير الخطيبي، **المغرب العربي وقضايا الحداثة**، (بيروت، منشورات الجمل، ٢٠٠٩م)، ص٨٨-٨٩.

(٣٥) للمزيد، يُنظر: محمد المختار العرباوي، **في جذور المسألة القومية**، ص١٣-١٤.

(٣٦) مجيد حميد يونس الحمداني، مرجع سابق، ص١١٧-١١٨.

(٣٧) للمزيد من التفاصيل حول الكتابة البربرية (اللوبية والتيفيناغ)، يُنظر: محمد المختار العرباوي، **في مواجهة النزعة البربرية**، ص٣٣-٧٥.

(٣٨) عز الدين المناصرة، **المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب.. إشكالية التعددية اللغوية**، (دار الشروق، د.ت.)، ص٨.

(٣٩) للمزيد، يُنظر: عمر تقي، **اللغة الأمازيغية ومصطلحاتها القانونية**، (المغرب، مطبعة فضالة، ١٩٩٧م)، ص١٧-

.٣٣

(٤٠) محمد المختار العرباوي، **في جذور المسألة القومية**، ص١٢.

(٤١) يحيى زكريا، **معالم الأطروحة البربرية في الجزائر**، مقال منشور على موقع الانترنيت:

http:\\ www.almoslm.com

(٤٢) إدريس الكنبوري، مرجع سابق، ص٢٤.

(٤٣) مجيد حميد يونس الحمداني، مرجع سابق، ص١١-٧٧.

(٤٤) لقمان صالح أحمد القطّان، مرجع سابق، ص٢٢.

(٤٥) خيري عبد الرزاق، **مشكلة الاندماج الوطني في الجزائر**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلّية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩١م، ص١٢٢.

(٤٦) مجيد حميد يونس الحمداني، مرجع سابق، ص١١٧.

(٤٧) صلاح العقاد، **المغرب العربي (تونس والجزائر والمغرب)**، (القاهرة، ١٩٦٢م)، ص٣٠٦.

(٤٨) نقلاً عن: محمد علي داهش، مرجع سابق، ص٤٦.

(٤٩) كريدية إبراهيم، مرجع سابق، ص٥٠.

(50) Lm'Islam et les questions musulmanes au point de rue français. Conférence faite au centre des hautes études militaires, le 13 avril 1923., Lavauzelle, 1924.

(٥١) محمد علي داهش، مرجع سابق، ص٢٤.

(٥٢) نقلاً عن: علّال الفاسي، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، (بيروت، ١٩٤٨م)، ص١٤٥.

(٥٣) محمد علي داهش، مرجع سابق، ص٢٥.

(٥٤) كريدية إبراهيم، مرجع سابق، ص٣٦.

(٥٥) لقمان صالح أحمد القطّان، مرجع سابق، ص٣٣.

(٥٦) المرجع نفسه، ص٤٥.

(٥٧) منير عويد محسن الاسودي، مرجع سابق، ص٣١-٣٢.

(٥٨) لقمان صالح أحمد القطّان، مرجع سابق، ص٤٦؛ ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص١٥١.

(٥٩) علّال الفاسي، مرجع سابق، ص١٤٨.

(٦٠) منير عويد محسن الاسودي، مرجع سابق، ص٣٦.

(٦١) للمزيد، يُنظر: أحمد بن نعمان، **فرنسا والأطروحة البربرية (الخلفيات، الأهداف، الوسائل، والبدائل)**، ط٢، (الجزائر، دار الأُمَّة، ١٩٩٧م)، ص١٣٥-١٦٥.

(٦٢) إدريس الكنبوري، مرجع سابق، ص٢٥-٢٦.

(٦٣) ما تُسمَّى بحركة العروش (٢٠٠١-٢٠٠٣م): اندلعت مظاهرات كبيرة في منطقة (تيزي اوزو)، على أثر مقتل أحد طلبة ثانوية بني دوالة، المدعو محمد قرماح، في ١٨/ نيسان/ ٢٠٠١م، من طرف أحد رجال الشرطة الجزائرية. للمزيد، يُنظر: ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص١٧٦-١٨١.

(٦٤) ثامر نعيمة خضير، «**تطور النزعة البربرية في الجزائر بعد الاستقلال**»، المثنى، مجلّة أوروك للعلوم الإنسانية، المُجلَّد السابع، العدد الأول، ٢٠١٤م، ص١٣٥-١٣٦.

(٥٦) أحمد بن نعمان، مرجع سابق، ص٣٣-٣٤.

(٦٦) إدريس الكنبوري، **التوتر السياسي والثقافي في المسألة الأمازيغية**. مقال منشور في الانترنيت:

https://alarab.co.uk

(٦٧) محمود معروف، **الأمازيغية في المغرب.. لغةٌ رسمية**. مقال منشور في الانترنيت:

https://www.swissinfo.ch/ara//32789096

FEZ
CASABLANCA
MARRAKECH
GOUVERNEMENT IMPÉRIAL
DU
MAROC
(PROTECTORAT FRANÇAIS)
EMPRUNT GARANTI
PAR LE GOUVERNEMENT DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
Conformément aux lois des 16 Mars 1914 et 25 Mars 1916
Représenté par 408.928 Obligations 5 % de Frs 500
ET AUTORISÉ PAR DÉCRET DU PRÉSIDENT DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
DU 24 FÉVRIER 1918
Obligation de Cinq Cents Francs
AU PORTEUR
N° 325,434
Rapportant un intérêt annuel de VINGT-CINQ Francs
Payable par semestre les 1er Mars et 1er Septembre de chaque année
Le capital et les intérêts sont payables nets d'impôts présents et futurs, tant en France qu'au Maroc, conformément à l'article 11 du Contrat d'Emprunt reproduit ci-dessous.
Les Obligations sont amortissables de 1918 à 1989, conformément au tableau d'amortissement imprimé au verso.
Le Gouvernement du Protectorat renonce à tout remboursement anticipé avant le 1er Septembre 1935.
LE COMMISSAIRE RÉSIDENT GÉNÉRAL
de la République Française au Maroc.
LE DIRECTEUR GÉNÉRAL DES FINANCES
du Gouvernement Impérial du Maroc et du Protectorat.
Rabat, le 1er Mars 1918.
VISÉ POUR CONTROLE
par le Délégué du Gouvernement du Protectorat,
EXTRAIT DES LOIS DES 16 MARS 1914 (ART. 4) ET 25 MARS 1916 (ART. 2)
EXTRAIT DU CONTRAT PASSÉ ENTRE LE GOUVERNEMENT IMPÉRIAL DU MAROC, LE PROTECTORAT FRANÇAIS ET LA BANQUE D'ÉTAT DU MAROC
RABAT
TOUR HASSAN
MARRAKECH
LA KOUTOUBIA
TANGER
MEKNÈS
MEKNÈS
IMPRIMERIE RICHARD, 37, RUE SAINT-LAZARE, PARIS.

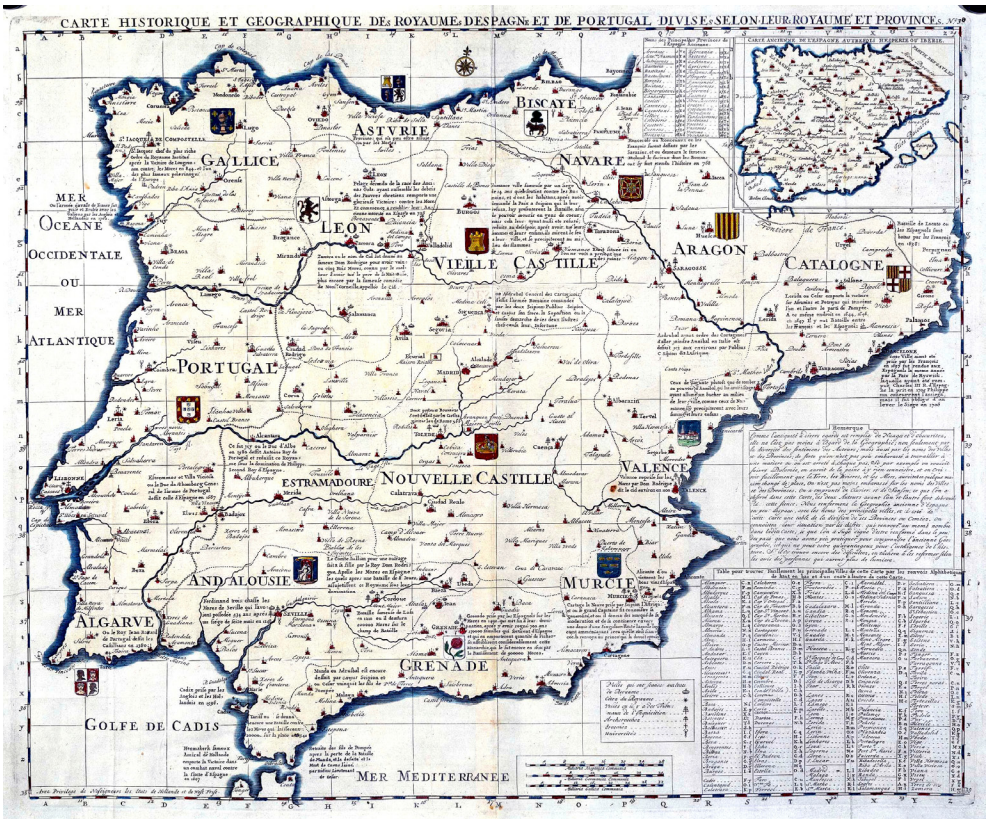
CARTE HISTORIQUE ET GEOGRAPHIQUE DES ROYAUME. DESPAGNE ET DE PORTUGAL DIVISE SELON LEUR ROYAUME ET PROVINCES.
MER OCEANE OCCIDENTALE OU MER ATLANTIQUE
GALLICE
ASTVRIE
BISCAYE
NAVARE
LEON
VIEILLE CASTILLE
ARAGON
CATALOGNE
PORTUGAL
ESTRAMADOURE
NOUVELLE CASTILLE
VALENCE
ANDALOUSIE
MURCIE
ALGARVE
GRENADE
GOLFE DE CADIS
MER MEDITERRANEE

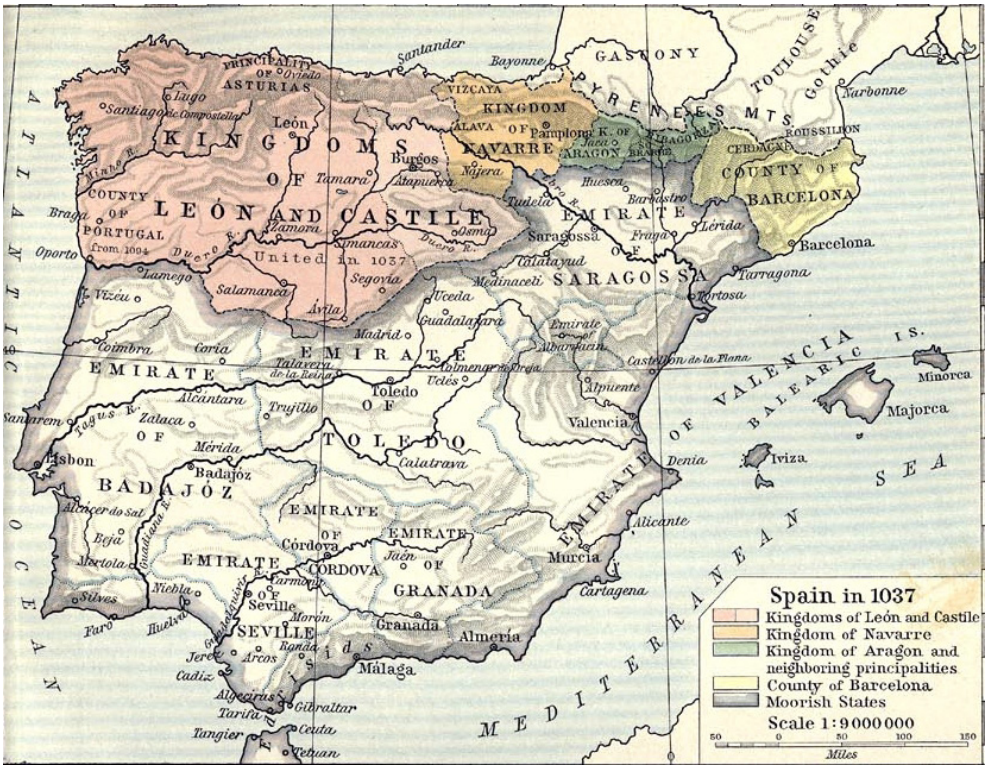
Spain in 1037
Kingdoms of León and Castile
Kingdom of Navarre
Kingdom of Aragon and neighboring principalities
County of Barcelona
Moorish States
Scale 1:9000000
50 0 50 100 150
Miles
KINGDOM OF LEÓN AND CASTILE
KINGDOM OF NAVARRE
COUNTY OF BARCELONA
PORTUGAL
EMIRATE OF TOLEDO
EMIRATE OF BADAJÓZ
EMIRATE OF CORDOVA
EMIRATE OF GRANADA
EMIRATE OF SEVILLE
EMIRATE OF SARAGOSSA
EMIRATE OF VALENCIA
BALEARIC IS.
PYRENEES MTS.
GASCONY
TOULOUSE
Gothie
ATLANTIC OCEAN
MEDITERRANEAN SEA

Spain in 1150
Kingdoms of León and Castile
Kingdom of Navarre
Kingdom of Aragon and its dependencies
Kingdom of Portugal (1140)
Dominion of the Almohads
The dates in parentheses are those of Christian conquests of Moorish territory.
Scale 1: 9000000
Miles
KINGDOM OF LEON AND CASTILE
KINGDOM OF NAVARRE
KINGDOM OF ARAGON
KINGDOM OF PORTUGAL
DOMINION OF THE ALMOHADS
MEDITERRANEAN SEA
ATLANTIC OCEAN
BALEARIC IS.
PYRENEES MTS.
GASCONY
TOULOUSE
LANGUEDOC
CATALONIA
Corunna
Santander
Bayonne
San Sebastián
Toulouse
Narbonne
Perpignan
Santiago de Compostela
Lugo
Oviedo
León
Astorga
Pamplona
Amaya
Orense
Palencia
Burgos
Logroño
Huesca
Urgel
Barcelona
Tarragona
Tortosa
Lérida
Vich
Gerona
Chaves
Braga
Valladolid
Toro
Zamora
Simancas
Sahagun
Soria
Saragossa
Tudela
Monzon
Oporto
Douro R.
Lamego
Salamanca
Segovia
Ureda
Guadalajara
Madrid
Alcalá de Henares
Calatayud
Daroca
Mequinenza
Viseu
Coimbra
Ciudad Rodrigo
Miranda de Duero
Soria
Talavera de la Reina
Colmenar de Oreja
Orija
Azurita
Huete
Teruel
Cuenca
Castellon de la Plana
Leiria
Toledo
Ocaña
Alcántara
Trujillo
Cáceres
Zalaca
Santarem
Tagus R.
Alcázar
Alarcon
Segorbe
Murviedro
Valencia
Palma
Minorca
Majorca
Under the Almoravids
Iviza
Lisbon
Elvas
Mérida
Guadiana R.
Calatrava
Badajóz
Montesa
Alcaraz
Játiva
Denia
Biar
Alcacer do Sal
Llerena
Alarcos
Segura
Elche
Alicante
Jerez de los Caballeros
Beja
Serpa
Obriquez
Córdova
Baeza
Jaen
Huescar
Murcia
Orihuela
Mertola
Niebla
Carmona
Seville
Lorca
Cartagena
Huelva
Loja
Granada
Almeria
Arcos
Medina Sidonia
Málaga
Cadiz
Algeciras
Gibraltar
Tarifa
Tangier
Ceuta
Tetuan
Logos
Silves
ALGARVE
PORTUGAL